

الدلالة عند علماء العربية، النحاة، اللغويين، الأصوليون

2.2

د. هادية رواق



قائمة المحتويات

5	وحدة
7	مقدمة
9	I- جهود النحاة واللغويين.
9	آ. جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ) وسيبويه (180هـ).....
10	ب. جهود الإمام عبد الفاهر الجرجاني وآخرين.....
10	پ. الدلالة عند الأصوليين.....
10	1. جهود أصولية على مسار درس الدلالة.....
11	ت. دور المجاز والإعجاز في تجلّي درس الدلالة.....
13	خاتمة

وحدة

الهدف العام.

أن يذكر الطالب جهود مجموعة من علماء العربية؛ اللغويون/ النحاة/ الأصوليون.

الأهداف الخاصة.

أن يتعرّف الطالب على جهود اللّغويين، والنّحاة ويميّز بين قضاياهم الدلالية

ب/أن يميّز جهود علماء الأصول ويعرف وإضافاتهم الدلالية.

1. مقدمة

(1) إنّ الحديث عن الدّلالة عند علماء العربية، يقتضي منّا إشارة إلى تلك المعاني والدّلالات الجديدة التي ظهرت في اللغة العربية بعيد الفتح الإسلاميّ، وكذا ما تفرّع إليه البحث في علوم العربية. فبسبب توسّع معالم الحياة العربية عهد الإسلام، ثم انطلاق شرارة الحضارة العربية، شهدت الدراسات اللغوية طفرة رقيّ نوعيّ احتفى بها تاريخ العربية إلى يومنا هذا.

جهود النحاة واللغويين.

9	جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ) وسيبويه (180هـ)
10	جهود الإمام عبد القاهر الجرجاني وآخرين.
10	الدلالة عند الأصوليين.
11	دور المجاز والإعجاز في تجلّي درس الدلالة

1. نبّه القرآن الكريم إلى قضية الدلالة، ودفع العقول إلى التحرّي والتدبّر، ولم يقتصر الاهتمام بها على صنف من العلماء؛ بل إنّ النحاة واللغويين وعلماء الأصول، والنقاد والبلاغيين والفقهاء والفلاسفة والمناطقّة وعلماء الكلام وغيرهم، كلهم بذلوا جهودا بالغة في سبيل فهم النص القرآنيّ.
2. لذلك عُرف العلماء في سياق الحضارة العربية الإسلامية إجمالا بموسوعية المعارف وتعدّد الاختصاصات وتكاملها. وذلك بسبب الشمولية وتداخل العلوم ودورانها حول القرآن، لذلك فإنّ اللّغوي يمكن أن يكون نحويا وشاعرا وناقدا وفيلسوبا، وقس على ذلك، وفي هذا السياق كانت الجهود كثيرة متنوعة متداخلة، نشير إلى مقتضبات هذه بعضها:

أ. جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ) وسيبويه (180هـ)

- برز من علماء النحو واللغة الخليل بن أحمد (ت175هـ) الذي ألّف معجم العين، فعُدّ كتابه أوّل لبنة في مجال علم الأصوات النطقي وإدراك الصوت الفيزيولوجي، أظهر ما يؤدّيه الصوت من دلالة للمعنى، أمّا فكرة التقاليد فقد قادته إلى تمييز المهمل والمستعمل من ألفاظ العربية(1)[1][1]

- أمّا (سيبويه ت180 هـ)، فهو صانع نحو العربية، وقد قاده درس النحو إلى إظهار دور النحو في تحديد الدلالة، ووضع في ذلك مصطلحات منها باب الاستقامة من الكلام والإحالة"المستقيم الحسن، والمستقيم الكذب، والمستقيم القبيح، المحال، والمحال الكذب" ولا وجود لمحال حسن أو صحيح، لأنّ الكلام الذي يستحيل تركيبه لغويا ليس بمقدورنا أن نصفه بالحسن أو القبح (2)[2][2] سيبويه. وفي السياق ذاته تم تأليف الكثير من المتون اللغوية، التي سمّيت بمعاجم الموضوعات و"الرسائل اللغوية" فتم تصنف ألفاظ العربية حسب مجالاتها الدلالية، وذلك ما يجعلها ترتبط بنظرية الحقول الدلالية (نعرض لها لاحقا)، كرسائل الأصمعي وأبي عبيدة (الإبل والشاة، والخيّل وخلق الإنسان، كما أنّ كتاب أبي هلال العسكري الفروق اللغوية مبحثا هاما يخدم علم الدلالة لقوله: " الدلالة تكون على أربعة أوجه: أحدها: ما يمكن أن يستدل به، قصد فاعله ذلك أم لم يقصد، والشاهد أنّ أفعال البهائم تدل على حدثها وليس لها قصد إلى ذلك، والأفعال المحكمة دلالة على علم فاعلها، وإن لم يقصد فاعلها أن تكون دلالة على ذلك، ومن جعل قصد فاعل الدلالة شرطا فيها احتجّ بأنّ اللص يستدل بأثره عليه، ولا يكون أثره دلالة لأنه لم يقصد ذلك، فلو وصف بأنه دلالة لوصف هو بأنه دال على نفسه وليس هذا بشيء، لأنه ليس بمنكر في اللغة أن يسمى أثره دلالة عليه ولا أن يوصف هو بأنه دال على نفسه، بل ذلك جائز في اللغة معروف"(3)

ب. جهود الإمام عبد القاهر الجرجاني وآخرين.

ج/ أمّا عبد القاهر الجرجاني (400/471هـ)، فقد دافع عن النحو وجادل كل متهاون بهذا العلم الأصيل فقال: النحو هو السبيل الوحيد إلى تقصّي دلائل ومعاني آيات القرآن و" لا يجدون بداً من أن يعتدوا بالحاجة إليه فيه إذ كان قد عُلم أنّ الألفاظ مغلقة على معانيها حتّى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتّى يكون هو المستخرج لها، وأنّه المعيار الذي لا يتبيّن نقصان كلام ورجحانه حتّى يُعرض عليه. (4) [4] وبه فإنّ الأسس التي وضعها عبد القاهر في الدلائل والأسرار، تعتبر المفتاح الأصلي لعلم الدلالة منها أن:

- نظريته في النظم هي المفتاح الأنسب لنظرية التحليل الوظيفي؛ إظهار وظائف الكلمات في الجمل.
- فكرة السياق عند عبد القاهر الجرجاني، هي بعد آخر من أبعاد التحليل الدلالي، فقد ذهب إلى أنّ العلاقات السياقية بين الوحدات الصغرى هو ما يحدّد طاقة اللغة وباختلاف الترتيب والتراكيب تتجدّد المعاني، وتبقى حركة الخلق اللغوي مستمرة.
ومن ثمّ يصل إلى "رصد العلل والأسباب التي أدّت إلى هذا التغيّر، وهو ما قاد إلى إدراك دور الوظائف النحوية في الناتج الدلالي الذي يتفق ممّا بين المفردات من علائق.
ومن العلماء ابن فارس معجم مقاييس اللغة ببناء نظام الجذور، فربط المعاني الجزئية بمعنى عام يحكمها،
- ربط ابن جني في الخصائص تقاليب الكلمات بمعنى يوحدّها، وجعل كتابه تفسيراً علمياً للكثير من قضايا الدلالة.

- السيوطي في المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية، الصاحب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، الرازي في كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية، وأساس البلاغة للزمخشري، دلائل الإعجاز في علم المعاني للجرجاني، فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي، وما لا يحصى ولا يُعدّ، لكل مؤلّف طريقة في إظهار دلالة الكلمة.

انكبّ علماء اللغة على النصّ القرآنيّ بحثاً وتنقيحاً، فبحثوا دلالات الكلمات والأصوات والتراكيب... وكانت العناية بالصوت اللغوي مثلاً ملمحاً هاماً من ملامح بحوث اللغويين، حيث برز علم القراءات الذي ركّز على طريقة النطق لقول علماء القراءات بنزول القرآن على "سبعة أحرف، وهو ما ألزمهم بمعرفة معانيها وكيفية أدائها (5) [5] لأنّها تتعلّق بالتغيّر والاختلاف في الكلمات القرآنية، وامتدّ الأمر للنحو والصرف والمعجم والسياق وما إليه. وتطوّر البحث في هذا الميدان في القرون اللاحقة مع عدّة علماء تطرّفوا لعلم الأصوات اللغوية من نواحي علم التشريح، فوصفوا تشريح مخارج الأصوات وصفاً دقيقاً خاصة من اتقن منهم علم الطب كابن سينا والفخر الرازي، قال: "الصوت يحصل بسبب استدخال النفس، أو بسبب إخراجها، وعند هذا تحتاج هذه المباحث إلى معرفة أحوال القلب والرئة، ومعرفة الحجاب الذي هو المبدأ الأوّل لحركة الصوت، ومعرفة العضلات المحركة للبطن والحنجرة واللسان والشفيتين. وهذه المباحث لا تتمّ دلالتها إلا عند الوقوف على علم التشريح.

(6) [6]

ب. الدلالة عند الأصوليين.

علم الأصول هو علم يبحث في "أحوال الأدلّة الموصلة إلى الأحكام الشرعية في مجال القرآن الكريم، اهتمّ الأصوليون بالدلالة لأنها وسيلتهم لضبط معاني المصطلحات الفقهية ودلالات الآيات القرآنية، ففي هذا السياق نشطت حركة النهضة العلمية، وبرز الاهتمام بالقرآن واضحاً، من عدّة جوانب، خاصّة في مجال العلاقات الدلالية، والمجاز وإنكار الترادف، والقصدية وما إليه.

1. جهود أصولية على مسار درس الدلالة

لعلّ التّأليف في مجال الألفاظ ودلالاتها قد توزّعت علوم كثيرة، حيث ألّف الأزهرى كتاب "الزاهر في غرائب ألفاظ الإمام الشافعيّ" وألّف النووي كتاب "تهذيب الأسماء واللغات"، و"المصباح المنير" لأحمد المقرّي الفيومي وغيرها، وهي كلّها كتب شرحت المصطلحات الواردة في المؤلفات الفقهية، وذلك بسبب أنّ الفقهاء استخدموا مصطلحات جديدة، نالت شروحا في أشكال من المعاجم ضارعت المعجمات اللغوية فقال الشريف الجرجاني في تعريفها: "الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأوّل هو الدال، والثاني هو المدلول".

وأردف الرّاعب الأصفهانيّ (ت502هـ) "الدلالة ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء؛ كدلالة الألفاظ على المعنى،

ودلالة الإشارات والرموز والعقود في الحساب"
وكان الإمام عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ ثالث الأئمة الأربعة (ت 150هـ 204 هـ) أوّل من حرّر كتاب
"الرسالة" في القواعد الأصولية، وكانت معرفته باللغة أداة فعّالة في التحليل والتركيب والنقد والنقاش
والترجيح والرد على الخصوم.
قال علي بن محمد الأمدي: "وأما علم العربية فتتوقف معرفة دلالات الأدلة اللفظية من الكتاب والسنة
وأقوال أهل الحل والعقد من الأمة على معرفة موضوعاتها لغة؛ من جهة الحقيقة والمجاز، والعموم.
والخصوص، والإطلاق والتقييد، والحذف، والإضمار، والمنطوق، والمفهوم، والاقتضاء، والإشارة، والتنبيه،
والإيماء، وغيره مما لا يعرف في غير علم العربية" وذهب إلى أن اللفظ "هو ما دلّ بالوضع على معنى لا
جزء له" (7)[7]

ت. دور المجاز والإعجاز في تجلّي درس الدلالة

بناء على فكرة المجاز والإعجاز اللغوي توسّعت البحوث في مختلف فروع المعرفة التي تشققت وتفرّعت،
وأثمرت علوماً هي عماد الحضارة العربية الإسلامية؛ عربية اللغة وعالمية القرآن الكريم. ويدخل في هذا
الصنف كلّ ما أُلّف في فهم النصّ القرآنيّ من المجاز والإعجاز والغريب والمتشابه والمختلف، ويُعتبر ذلك
حديثاً مبكراً في علم الدلالة، فقد تمازجت التآليف بين مختلف الاختصاصات ولا فرق بين لغويٍّ ومُقرئ
ونحويٍّ، ومفسّر، لأنّ الجميع يدور في فلك القرآن ودائرته. يُتبع في الوحدة التالية

خاتمة

بسبب من مكانة القرآن الكريم في نفوس المسلمين وعقولهم، كان الحرص على فهم جميع جوانب النص مطلباً ملجئاً، لذلك لم يتوان اللغويون والنحاة والأصوليون عن التأليف في هذا المجال، بل كانوا سباقين لغيرهم، وقد وضعت جهودهم أولى لبنات الدرس الدلالي.